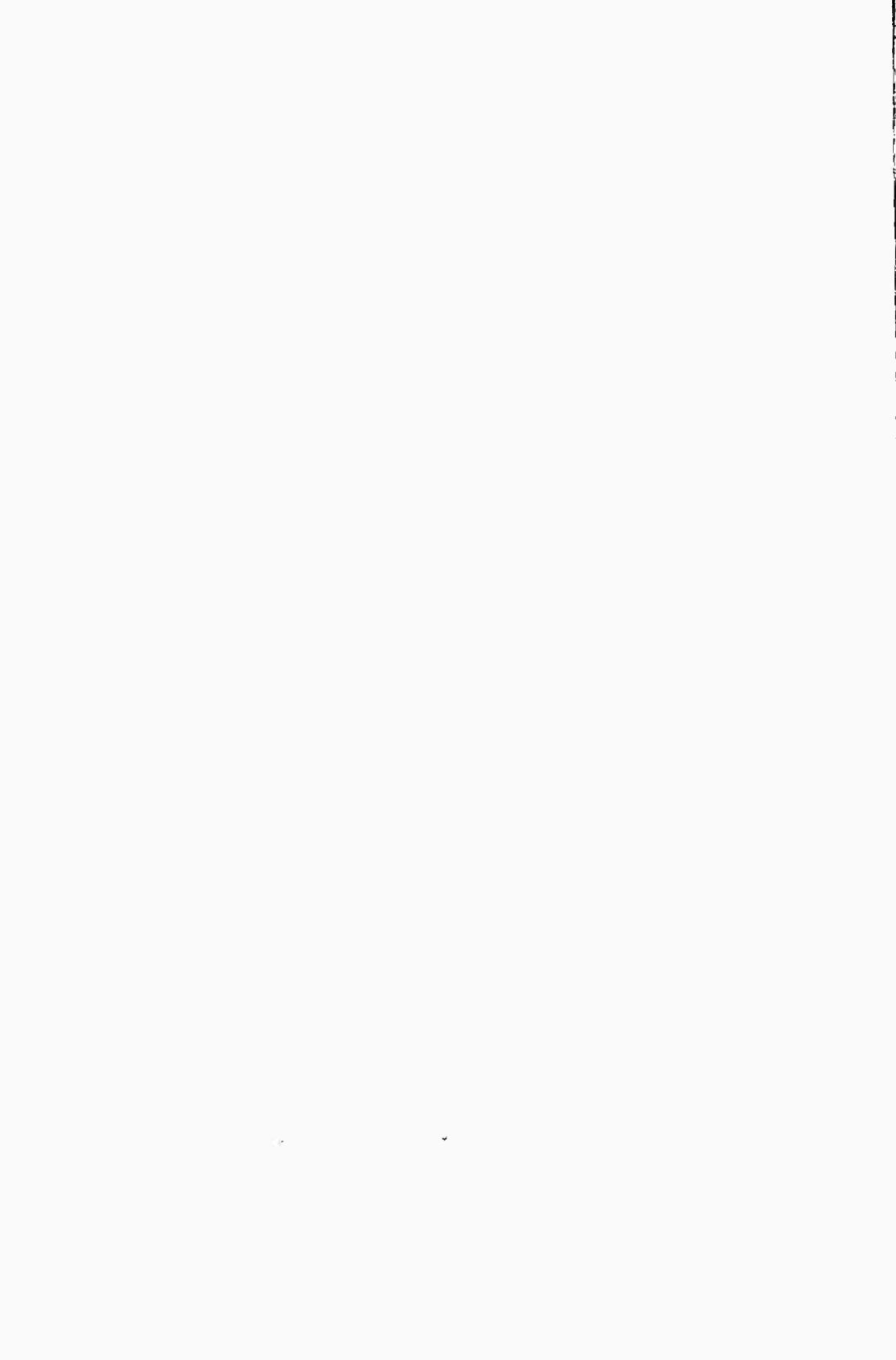


الشعر في الأندلس



## نشأة الشعر الأندلسي:

ظهر الشعر في الأندلس وازدهر نتيجة هوامل أهمها :

- طبيعة الأندلس وتنوعها وما فيها من مواطن الجمال والطبيعة الساحرة .
- التكوين الثقافي التنوع للسكان الذين عاشوا في الأندلس .
- ما ساد المجتمع من السماحة الطيبة بعيدا عن التعصب المقيت.
- ما حدث من التّجائس بين سكّان الأندلس
- الاستقرار السياسي والأمن الذي ساد المجتمع .
- الرخاء وابتعاث الحياة الاقتصادية .
- هجرة كثير من الشعراء العرب واستيطانهم في مجتمع الأندلس الجديد .

ولهذا كله برز منهم الشعراء والناثرون وعلماء اللغة .

## مكانة الشعر عند الأندلسيين :

- إذا كان الشعر في المشرق قد احتل مكانة مرموقة ؛ فقد حظي الشعر عند الأندلسيين بمكانة عظيمة، ونال الشعراء

تقديرًا وتكريماً من ملوكهم فراحوا ينشدون في مجالس  
عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقع لهم بالصلوات على أقدارهم.  
• كما عرفت بلاد الأندلس بجمال مناظرها وأوضاعها  
الطبيعية الخلابة، فأفاض الشعراء في التغني بجمالها .

ولعل هذه الطبيعة هي التي غذت فيهم الروح الموسيقية المرحية  
التي حدت بهم إلى أن يفتنوا في الأوزان الشعرية، فيضيفوا إلى ما هو  
معروف منها أوزاناً في غاية الخفة والجمال، وتعد الموشحات خير دليل.  
كما أن مظاهر التميز والتفرد الأندلسي دفعهم إلى ابتكار  
أجناس أدبية خاصة باللغة العربية الفصيحة، سميت بالموشحات،  
وأخرى بالعامية سميت بالزجل.

### أغراض الشعر الأندلسي :

استوعب الشعر الأندلسي مظاهر الحضارة وعبر عن مضمونها  
وطبيعة الصراعات السياسية والتغيرات الاجتماعية في مجتمع العرب  
الجديد في بيئة الأندلس وكانت أغراض الشعر الأندلسي امتداداً  
لأغراضه عند المشاركة ، فقد عالج شعراء الأندلس مختلف أغراض  
الشعر من مدح ورتاء وفخر ووصف وغزل وهجاء :

## • أما الوصف :

فقد احتل مرتبة عالية من بين أغراض الشعر وكان لطبيعة الأندلس الأثر الحاسم في جعل شعر الطبيعة من أميز أغراض الشعر الأندلسي، وتمثل طبيعة الأندلس الرائعة الملهم الأول لشعرائها، فهذا ابن خفاجة أشهر شعراء الطبيعة في الأندلس يصف جبلا ضخما، فيقول (٢) :

وأرعن طماح الذؤابة باذخ

يطاول أعنان السماء بغارب

يلوث عليه الغيم سود عمائم

لها من وميض البرق حمر ذوائب

أصخت إليه وهو أخرس صامت

فحدثني ليل السرى بالعجائب

وقال ألا كم كنت ملجأ قاتل

وموطن أواه تبتل تائب

وكم مر بي من مدلج ومؤوب

وقال بظلي من مطي وراكب

فما كان إلا أن طوتهم يد الردى

وطاحت بهم ريح النوى والنواب

فحتى متى أبقى ويطعن صاحب

أودع منه راحلا غير آيب

فرحماك يارب دعوة ضارع

يمد إلى نعماك راحة راغب

وبلاحظ ان الوصف الأندلسي يميل إلى التشخيص مع حشد كبير من التشبيهات والاستعارات، وتنوع الوصف فكان منه وصف الطبيعة من أنهار وأشجار وحدائق غناء وقصور وقنص وسباق ووصف مجالس الغناء والطرب والسمر.

## • والمدح :

تناول الشعراء في مدحهم صفات الشجاعة والكرم والوفاء ووصف المعارك الحربية والإشادة بما حققه المدوح من انتصارات وما أحرزه من عز للإسلام والمسلمين.

وتوجه الشعراء بمدحهم إلى الأمراء والخلفاء والحكام، وكان المدح بوجه عام يميل إلى التأنيق في العبارة والصياغة.

والملاحظ أن طريقة بناء قصائد المدح اختلفت من شاعر لآخر، فبعضها كان ينهج نهج الأقدمين، فيبدأ بمقدمة طللية ونسيب ووصف للرحلة ثم يتخلص إلى المدح، وكان منهم من يعمد إلى موضوع المدح مباشرة دون مقدمات.

وكان ممن اشتهر من شعراء الأندلس في هذا الغرض : ابن حمديس وابن هانئ وابن زيدون وابن دراج القسطلبي ، وندر أن نجد شاعراً لم يعالج هذا الغرض في شعره .

ومن قصيدة ابن هانئ في مدح المعز لدين الله (٣) :

هل كان ضَمَخَ بالعبير الرِّيحَا

مزنٌ يهزُّ البرقُ فيه صفيحَا

يهدي تحيات القلوب وإنما

يهدي بهنَّ الوجد والتبريحَا

شرفتُ بماء الورد بللَ حبيبها

فأتت ترقرقه نَمَا منضوحَا

أنفاسُ طيبٍ بَتْنٌ في درعي وقد

بات الخيال وراءهنَّ طليحَا

## • الغزل :

تناول الشعراء أوصاف المحبوب من البيئة حوله، وما يتمتع به

من رقة وظرف وجمال كقول ابن زيدون متغزلا ولادة بنت المستكفي

ومبينا ما يعاني من الوجد في نونيته المشهورة (٤) :

تكاد حين تتاجيكم ضمائرنا

يقضي علينا الأسي لولا تأسينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت

سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا

إذ طالما غير النأي المحبيننا

غيظ العدا من تساقينا الهوى

فدعوا بأن نغص فقال الدهر آميننا

وقول ابن عبد ربه:

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيق

ورشا بنقطيع القلوب رقيقا

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله

درأ يعود من الحياء عقيقا

وإذا نظرت إلى محاسن وجهه

أبصرت وجهك في سناه غريقا

يا من تقطع خصره من رقة

ما بال قلبك لا يكون رقيقا؟

## • الرثاء :

وفي شعر الرثاء في الأندلس اتخذ الشعراء من نماذج الشعر  
المشرقي منهجا ساروا عليه فاستهل الشاعر الأندلسي قصيدة الرثاء  
بالحديث عن الفاجعة .

ووصف المصيبة التي حلت بموت الفقيد، ومنهم من كان يستهل  
القصيدة بالحكم وتختتم بالعظات والعبر.

وتطور الرثاء في أغراضه فرأينا منه رثاء المدن والممالك الزائلة .

وخير مثال للرثاء قصيدة أبي البقاء الرندي في الحديث عما حل  
بالأندلس والتي منها قوله (٥) :

لكل شيء إذا ما تم نقصان

فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دولّ

من سره زمن ساعته أزمان

وهذه الدار لا تبقى على أحد

ولا يدوم على حال لها شأن

أين الملوك ذوا التيجان من يَمَن

وأين منهم أكاليل وتيجان؟

وأين ما شاده شداد في إرم؟

وأين ماساسه في الفرس ساسان

وأين ما حازه قارون من ذهب

وأين عادّ وشداد وقحطان؟

وفي مرثية ابن عبدون في رائيته يقول (٦) :

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثْرِ

فما البكاءُ على الأشباح والصُّور؟

أَنْهَاكَ أَنْهَكَ لَا أَلُوكَ مَوْعِظَةٌ

عَنْ نَوْمَةٍ بَيْنَ نَابِ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ

فالدَّهْرُ حَرْبٌ وَإِنْ أَبَدِي مَسَالِمَةٌ

وَالْبَيْضُ وَالسُّودُ مِثْلُ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ

وَلَا هُوَادَةَ بَيْنَ الرَّأْسِ تَأْخُذُهُ

أَيْدِي الضَّرَابِ وَبَيْنَ الصَّارِمِ الذِّكْرِ

فَلَا يَغْرُنُكَ مَنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا

فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنِهَا سِوَى السَّهْرِ

مَا لِلْيَالِي أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَنَا

مَنْ اللَّيَالِي وَخَانَتْهَا يَدُ الْغَيْرِ

تَسْرُ بِالشَّيْءِ لَكِنْ كَيْ تَغْرُ بِهِ

كَالْأَيْمِ نَارٍ إِلَى الْجَانِي مِنَ الزَّهْرِ

كَمْ دَوْلُهُ وَلَيْتَ بِالنَّصْرِ خَدَمَتَهَا

لَمْ تُبْقَ مِنْهَا وَسْلاً دُنْيَاكَ عَنْ خَبَرِ

هُوتَ بَدَارًا وَقَلَّتْ غَرْبَ قَائِلِهِ

وَكَانَ عَضْبًا عَلَى الْأَمْلَاكِذَا أَثَرِ

## • الزهد والتقصف :

شاع هذا اللون بين شعراء الأندلس وتفوقوا فيه على شعراء المشرق من حيث غزارة الإنتاج وتوليد المعاني ورسم الصور المؤثرة القوية

وفي شعر الزهد والتقصف يدرك الإنسان التوبة بعد طول حياة لاهية فيسخر طاقته الشعرية في آخر أيامه إلى طلب مغفرة الله ومرضاته وإلى ذم حياة اللهو والمجون والدعوة إلى الزهد والتقصف، ومن أشهر الشعراء في هذا الغرض الشعري ابن عبد ربه وابن حمديس والغزال.

يقول الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل القرشي الأشبوني ،  
وهو أحد الأدباء النبلاء والشعراء المحسنين (٧) :

يا غافلاً شأنه الرقاد

كأنما غيرك المراد

والموت يرعاك كل حين

فكيف لم يجفك المهاد؟

ما حال سفر بغير زاد

والأرض قفر ولا مزاد

وابن حمديس من الشعراء الذين ألتهم المحنة التي حلت بوطنه  
الأول "صقلية" فكان دائم الأسى والحزن، كثير الشكوى من الزمان  
ولؤم الناس، متبرماً بالحياة، وبما ناله من غدر الزمان وتصريف الحياة  
يقول في البكاء على الشيب الذي غزاه في وقت مبكر من العمر (٨) :

وعظت بلمتك الشائبه      وفقد شبيبتك الذاهبه

وسبعين عاماً ترى شمسها      بعينيك طالعة غاربه

فيا حاضراً أبداً ذنبه      وتوبته أبداً غائبه

أذب منك قلباً تجاري به سوابق عبرتك الساكبه

## • شعر التصوف :

يأتي على رأس هذا الغرض شيخ المتصوفين ابن عربي وابن  
سبعين وابن العريف والشستري وغيرهم.

وفي هذا اللون من الشعر تغني الشعراء بمدائح الرسول ، والحنين  
إلى الحجاز والأماكن المقدسة في مكة والمدينة المنورة .

كما اتجهوا بشعرهم للاستغاثة بالرسول الكريم واصفين محنتهم  
وأناهم.

ومن أشهر هؤلاء الشعراء أبو زيد الفازاري وابن جابر  
الأندلسي وأبو الحسن الرُّعَيْنِي وغيرهم من شعراء الأندلس. ، قال عزيز  
بن يشت (٩) :

يا سيّد الأرسال غير مدافع	وأجلّهم سبقاً وإنّ هم أعتقُ
فاجبرُ كسيرَ جرائرٍ وجرائمٍ	فالبدلُ والإنفاقُ عندك ينفقُ
أرجوك يا غيثَ الأنامِ فلا تدعُ	فالقلبُ من عظمِ الخطايا يلقُ
حاشاك تطردُ من أذاك مؤملاً	باب الرضا دوني يُسدُّ ويُغلقُ

حاشاك تطردُ مَنْ أتاك مؤملاً      فلأنتَ من أُمي أحنُ وأرفقُ

## ● الفلسفة :

هذا اللون من الشعر يقوم على تصوير الخواطر النفسية والتأملات الفكرية وتطويع الفلسفة للشعر والشعر للفلسفة ، مثل قول الشاعر الغزال (١٠) :

أرى أهل اليسار إذا توفُّوا      بنوا تلك المقابر بالصخور  
أبوًا إلا مَبَاهاةً وفخرًا      على الفقراء حتى في القبور  
إذا أكل الثرى هذا وهذا      فما فضل الغني على الفقير؟

أغراض جديدة ظهرت في الأندلس:

## ● الطوشحات (١١) :

فن شعري مستحدَث، عرفت به بيئة الأندلس ، وله نظام يختلف عن نظام القصيدة في الشعر الغنائي العربي في أمور عدَّة، إذ يسير على نمط معين .

وفي سبب التسمية، فالرَّاجح أنَّ هذا الفن سُمِّيَ بالموشَّح لما فيه من ترصيع وتزيين وتناظر وصنعة، فكأنهم شبَّهوه بوشاح المرأة المرصع باللؤلؤ والجوهر.

وكلمة موشح أو الموشحة مشتقة من الوشاح ، وهي حلية ذات خيطين يسلك في أحدهما اللؤلؤ، وفي الآخر الجوهر، أو هو جلد عريض مرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها. والثوب الموشح هو الثوب المزين، فالفكرة إذن هي فكرة التجميل المنوع المعتمد على التقابل، وهكذا الموشح أو الموشحة، تزدان بالقوافي المنوعة والأوزان المتعددة، ولكن مع التقابل في أجزائها المتماثلة وتُوسَّعت الموشَّحات لاحتِضان كلِّ موضوعات الشُّعر وأغراضه.

## • مكونات الموشح :

وتتألف الموشحة غالبا من خمس فقرات، تسمى كل فقرة بيتا. والبيت في الموشحة ليس كالبيت في القصيدة، لأن بيت الموشحة فقرة أو جزء من الموشحة يتألف من مجموعة أشطار، لا من شطرين فقط كبيت القصيدة.

وكل فقرة من فقرات الموشحة الخمس ينقسم إلى جزأين: الجزء الأول مجموعة أشطار تنتهي بقافية متحدة فيما بينها ومغايرة في الوقت نفسه للمجموعة التي تقابلها في فقرة أخرى من فقرات الموشحة.

أما الجزء الثاني من جزئي بيت الموشحة، فهو شطران . أو أكثر تتحد فيها القافية في كل الموشحة.

والجزء الأول الذي تختلف فيه القافية من بيت إلى بيت يسمى غصنا، والجزء الآخر الذي تتحد قافيته في كل الموشحة، يسمى قفلا.

وهذا نموذج لموشحة، نسوقه لكي تتضح تلك الأجزاء التي تؤلف هذا البناء الشعري، وهي لابن سهيل الإشبيلي، أحد شعراء القرن السابع الهجري:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى

قلب صب حله عن مكنس؟

فهو في حر وخفق مثلما

لعبت ريح الصبا بالقبس

يا بدورا أطلعت يوم النوى

غرورا تسلك في نهج الغرر

ما لعيني وحدها نذب للهوى

منكم الحسن ومن عيني النظر

أجتني بالذات مكروه الجوى

والتذذي من حبيبي بالفكر

وإذا أشكوه وجرى بسما

كالربي والعارض المنبجس

وإذ يقيم القطر فيها مأتما

وهي من بهجتها في عرس

\*\*\*

من إذا أملى عليه حرقى

طارحتني مقاتاه الدنفا

تركت الحافظه من رمقي

أثر النمل على صم الصفا

وأنا أشكره فيما بقى

لست أحياء على ما أتلفنا

وهو عندي عادل إن ظلما

ونصيحي نطقه كالحرس

ليس لي في الأمر حكم بعد ما

حل من نفسي محل النفس

\*\*\*

غالب لي غالب بالتؤده

بأبي أفديه من جاف رقيق

ما علمنا قبل نغر نضده

أقوانا عصرت منه رحيق

أخذت عيناه منه العريده

وفؤادي سكره ما إن يفيق

فاحم اللمة معسول اللمي

ساحر الغنج شهى العس

وجهه يتلو الضحى مبتسما

وهو من إعراضه في عبس

أيها السائل عن جرمي عليه

لي جزاء الذنب وهو المذنب

أخذت شمس الضحى من وجنتيه

مشرقاً للشمس فيه مغرب

ذهبت دمعى أشواقى إليه

وله خذ بلحظي مذهب

ينبت الورد بغرسسي كلما

لحظته مقاتلي في الخلس

ليت شعري أي شيء حرما

ذلك الورد على المغتس

\*\*\*

أنفدت دمعي نار بي ضرام

تلتظي في كل حين ماتشا

هي في خذبه برد وسلام

وهي ضر وحريق في الحشا

أنقي منه على حكم الغرام

أسدا وردا وأهواه رشا

قلت لما أن تبدي معلما

وهو من ألاحظه في حرس

أيها الآخذ قلبي مغنما

اجعل الوصل مكان الخمس

## • الزجل:

الرَّجُل هو الموشَّح المنظوم باللغة العامية، قام بنسجه ونظمه الطبقة العامية على سلايقتها، وكانت الأزجال تؤدَّى مصحوبة بالموسيقى، ونظمت دون التزام بقافية أو وزن.

وفي هذا الصدد أورد ابن خلدون في المقدمة: "لما شاع فنُّ التَّوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور؛ لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه - نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقتهم بلغتهم الحضريَّة من غير أن يلتزموا فيه إعرابًا، واستحدثوا فنًّا سمَّوه بالرَّجل، والتزموا النَّظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد، فجاؤوا فيه بالغرائب، واتَّسع فيه للبلاغة مجال، بحسب لُغَتِهِم المستعجمة".

وكان أوَّل مبتكر للرَّجل هو أبو بكر بن قزمان:

يقول أبو الحسن الششتري

زارني حبي وطابت أوقاتي

وسمغ لي الحبيب	زارني حبي وطابت أوقاتي
على غنظ الرقيب	وعفا عن جميع زلاتي
وسامح بالوصال	زارني منيتي وزال الباس
وبلغت الأمال	وحضر حضرتي ودار الكاس
من مدام حلال	وشربنا وطابت الأنفاس
نشرؤوا يا لبيب	إملاً كاسي ففينة مزاتي
معي حاضر قريب	وحببي أنسي ومشكاتي
وأي طرب وأي غنا	أي مدامه وأي خمره وأي خمّار
وأنتارت لنا	في رياض تفتحت أزهار
تختطب بيننا	والطيور في مناير الأشجار
إنما أنا رشيد	السفيه الذي يقول لي توب
إن وقتي عجب	ونقول للعنول إذ يأتي
ممرض هو الطبيب	علمي في ما مضى وما يأتي
ومجيب المجنون	أنا في ذا الهوى إمام عصري

وفنيتُ الفنُونُ	وفي عشق الملاح فنيتُ عمري
لا تراه الغيُونُ	في نحي الليل زارني بذري
كأذ عقلي يغيب	وأضًا منزلي وساحاتي
حاضر لا يغيب	في سُكوني سَكَنَ وحركاتي
للذي همتُ فيه	أنا في مذهبي نهب نفسي
وأضًا الوقتُ بيته	وحضرتُ حضرتي حضر أنسي
عندما نلتقِره	وتقلُّ لو يا بذري يا شمسي
وسمخُ لي الحبيب	زارني جبي وطابت أوقاتي
على غيظ الرقيب	مذ عفا عن جميع زلاتي

أما خصائص الشعر الأندلسي فتبدو في :

• الألفاظ والأساليب:

امتازت ألفاظ الشعر الأندلسي بالسهولة والرقّة ، لا أثر فيها لغموض أو التواء أو خلل، والأساليب قوية محكمة وجاء أكثر شعرهم جاريا مع الطبع من غير تكلف أو تصنع.

• الأفكار والمعاني :

بدت معاني الشعر الأندلسي واضحة خالية من المبالغة في طلب المعاني ، وفيها كثير من الابتكار، والأفكار قوية تقليدية.

• الصور والأخيلة:

برع الأندلسيون في التصوير وأغرقوا في التخييل ، وامتزجوا بالطبيعة الخلابة وانعكس ذلك على شعرهم فبدأ ظاهرا ملموسا في التشبيهات الرائعة ، والاستعارات الدقيقة والتشخيص الممتع .

• الأوزان والقوافي:

نظم الأندلسيون الشعر اعتمادا على البحور الخفيفة القصيرة لتناسبها مع حالة الترف واللهو وحب الغناء الذي انتشر في مجتمعهم ، فجاءوا بمقطوعات رشيقة أنيقة ، وبدت رقّة الحضارة واضحة في انتشار الغناء واستحداث الموشحات .

## الهوامش :

- ( ١ ) ( نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ) أحمد بن محمد  
المقري ، القاهرة ١٩٤٩ .
- ( ٢ ) ديوان ابن خفاجة ص ( ٦٧ )
- ( ٣ ) ديوان ابن هانيء ص ( ٥٤ )
- ( ٤ ) ديوان ابن زيدون ص ( ٨٤ )
- ( ٥ ) الأدب الأندلسي د أحمد هيكل ص ( ١١٤ )
- ( ٦ ) نفسه ص ( ٤٤ )
- ( ٧ ) نفسه ص ( ٥١ )
- ( ٨ ) ديوان ابن حمديس ( ٧٤ )
- ( ٩ ) الأدب الأندلسي ( ٩١ )
- ( ١٠ ) نفسه ص ( ٩٤ )
- ( ١١ ) نفسه ص ( ١٠٧ وما بعدها )